

قِصَصٌ لَا تَتُبْتُ عَنْ أُمَّةٍ الْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةَ -3- لَا يُغْتَى وَمَالِكٌ فِي الْمَدِينَةِ

الحمد لله وبعد ؛

الكلُّ يعلمُ ما للإمامِ مالكٍ إمامِ دارِ الهجرةِ من مكانةٍ عظيمةٍ ، فهو إمامٌ متبعٌ ، أحدُ أئمةِ المذاهبِ الأربعةِ المعروفةِ في بلادِ المسلمين ، وقد ورد حديثٌ حملةٌ كثيرٌ من أهلِ العلمِ على أن المقصودَ به هو الإمامُ مالكٌ .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رِوَايَةً يُوشِكُ أَنْ يَضْرِبَ النَّاسُ أَكْبَادَ الْإِيلِ ، يَطْلُبُونَ الْعِلْمَ ، فَلَا يَجِدُونَ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنْ عَالِمِ الْمَدِينَةِ .

رواه الترمذي (2680) ، وأحمد (2/299) ، وابن حبان (3728) ،
والحاكم (1/90 - 91) .

وقد اختلف في رفعه ووقفه فرجع الإمام أحمد وقفه كما في " المنتخب من العلل للخلال " (67) لابن قدامة المقدسي ، وقال الشيخ طارق عوض الله في تحقيقه لـ " المنتخب " (ص 138) : وذكر محقق " تهذيب الكمال ")

27/117) أن الإمام أحمد أعل هذا الحديث بالوقف ، ولم يعز ذلك إلى مصدر ، فإن صح هذا عن أحمد فهو يؤكد ما سبق ، على أن ظاهر صنيع أحمد هنا ، وكذا في " المسند " يدل على ذلك . والله أعلم .ا.هـ.

وقال الشيخ سليمان العلوان في " شرحه لجامع الترمذي " (الحديث الثاني) : بيد أن هذا الخبر مختلف في صحته . فقد أعل بعننة ابن جريج ، وهذا ليس بشيء ، وأعل بعننة أبي الزبير ، وهذا ليس بشيء ، بينما أعله الإمام أحمد بالوقف على أبي هريرة كما في " المنتخب من علل الخلال " للإمام الحافظ ابن قدامة ، وللموقوف حكم المرفوع ، إذ لا مجال لإجتهااد هنا .ا.هـ.

قال الترمذي عقب الحديث وَقَدْ رُوِيَ عَنْ ابْنِ عُيَيْنَةَ أَنَّهُ قَالَ فِي هَذَا سُئِلَ مَنْ عَالِمُ الْمَدِينَةِ ؟ فَقَالَ : إِنَّهُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ ، وَقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ مُوسَى سَمِعْتُ ابْنَ عُيَيْنَةَ يَقُولُ هُوَ الْعُمَرِيُّ الرَّاهِدِيُّ ، وَاسْمُهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَسَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ مُوسَى يَقُولُ قَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ هُوَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ وَالْعُمَرِيُّ هُوَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ

عَبْدُ اللَّهِ مِنْ وَلَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ .ا.هـ.

ورجح شيخ الإسلام ابن تيمية في " الفتاوى " (20/323 -
325) أن المقصود بالحديث هو الإمام مالك بن أنس فقال
وَهَذَا يُصَدِّقُ الْحَدِيثَ الَّذِي رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ عَنْ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : "يُوشِكُ أَنْ يَضْرِبَ
النَّاسُ أَكْبَادَ الْإِبِلِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ فَلَا يَجِدُونَ عَالِمًا أَعْلَمَ
مِنْ عَالِمِ الْمَدِينَةِ فَقَدْ رُوِيَ عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ كَابْنِ جَرِيحٍ
وَإِبْنِ عِينَةَ وَغَيْرِهِمَا أَنَّهُمْ قَالُوا هُوَ مَالِكٌ .

وَالَّذِينَ تَارَعُوا فِي هَذَا لَهُمْ مَا خَدَّان :

أَحَدُهُمَا : الطَّعْنُ فِي الْحَدِيثِ فَرَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ فِيهِ
انْقِطَاعًا .

وَالثَّانِي : أَنَّهُ أَرَادَ غَيْرَ مَالِكٍ كَالْعُمَرِيِّ الرَّاهِدِ وَنَحْوِهِ .

فَيُقَالُ مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْحَدِيثُ وَأَنَّ مَالِكًا أَمْرٌ مُتَقَرَّرٌ لِمَنْ
كَانَ مَوْجُودًا وَبِالتَّوَاتُرِ لِمَنْ كَانَ غَائِبًا ؛ فَإِنَّهُ لَا رَيْبَ أَنَّهُ لَمْ

يَكُنْ فِي عَصْرِ مَالِكٍ أَحَدٌ صَرَبَ إِلَيْهِ النَّاسُ أَكْبَادَ الْإِبِلِ
أَكْثَرَ مِنْ مَالِكٍ .

وَهَذَا يُقَرَّرُ بِوَجْهَيْنِ :

أَحَدُهُمَا :يَطْلَبُ تَقْدِيمَهُ عَلَى مِثْلِ الثَّوْرِيِّ وَالْأَوْزَاعِيِّ
وَاللَّيْثِ وَأَبِي حَنِيفَةَ وَهَذَا فِيهِ نِزَاعٌ وَلَا حَاجَةَ إِلَيْهِ فِي هَذَا
الْمَقَامِ .

وَالثَّانِي : أَنْ يُقَالَ : إِنْ مَالِكًا تَأَخَّرَ مَوْتُهُ عَنْ هَوْلَاءِ كُلِّهِمْ
فَإِنَّهُ تُوفِّيَ سَنَةً تِسْعٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَةٍ وَهَوْلَاءِ كُلُّهُمْ مَاتُوا
قَبْلَ ذَلِكَ .

فَمَعْلُومٌ أَنَّهُ بَعْدَ مَوْتِ هَوْلَاءِ لَمْ يَكُنْ فِي الْأُمَّةِ أَعْلَمُ مِنْ
مَالِكٍ فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ وَهَذَا لَا يُتَارَعُ فِيهِ أَحَدٌ مِنْ
الْمُسْلِمِينَ وَلَا رُجِلَ إِلَى أَحَدٍ مِنْ عُلَمَاءِ الْمَدِينَةِ مَا رُجِلَ
إِلَى مَالِكٍ لَا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ رُجِلَ إِلَيْهِ مِنَ الْمَشْرِقِ
وَالْمَغْرِبِ وَرَحَلَ إِلَيْهِ النَّاسُ عَلَى اخْتِلَافِ طَبَقَاتِهِمْ مِنْ
الْعُلَمَاءِ وَالزُّهَادِ وَالْمُلُوكِ وَالْعَامَّةِ وَانْتَشَرَ مُوَطَّؤُهُ فِي

الأرض حتى لا يُعرفَ في ذلك العَصْرِ كِتَابُ بَعْدَ الْقُرْآنِ
كَانَ أَكْثَرَ انْتِشَارًا مِنَ الْمُوْطَأِ وَأَخَذَ الْمُوْطَأُ عَنْهُ أَهْلُ
الْحِجَازِ وَالشَّامِ وَالْعِرَاقِ وَمِنْ أَصْغَرٍ مَنْ أَخَذَ عَنْهُ
الشَّافِعِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ وَأَمثَالُهُمَا وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ
الْحَسَنِ إِذَا حَدَّثَ بِالْعِرَاقِ عَنْ مَالِكٍ وَالْحِجَازِيِّينَ تَمْتَلِي
دَارُهُ وَإِذَا حَدَّثَ عَنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ يَقُلُّ النَّاسُ لِعِلْمِهِمْ بِأَنَّ
عِلْمَ مَالِكٍ وَأَهْلِ الْمَدِينَةِ أَصَحُّ وَأَثْبَتُ .

وَأَجَلُّ مَنْ أَخَذَ عَنْهُ الشَّافِعِيُّ الْعِلْمَ اثْنَانِ مَالِكُ وَابْنُ عِينَةَ
وَمَعْلُومٌ عِنْدَ كُلِّ أَحَدٍ أَنَّ مَالِكًا أَجَلُّ مِنْ ابْنِ عِينَةَ حَتَّى
إِنَّهُ كَانَ يَقُولُ :

إِنِّي وَمَالِكًا كَمَا قَالَ الْقَائِلُ :

وَإِبْنُ اللَّبُونِ إِذَا مَا لَزَّ فِي قَرْنٍ * * * لَمْ يَسْتَطِعْ صَوْلَةَ
الْبَزْلِ الْقِنَاعِيسِ

وَمَنْ رَعَمَ أَنَّ الَّذِي ضُرِبَتْ إِلَيْهِ أَكْبَادُ الْإِبِلِ فِي طَلَبِ
الْعِلْمِ هُوَ الْعُمَرِيُّ الرَّاهِدُ مَعَ كَوْنِهِ كَانَ رَجُلًا صَالِحًا زَاهِدًا

أَمْرًا بِالْمَعْرُوفِ نَاهِيًا عَنِ الْمُنْكَرِ لَمْ يُعْرَفْ أَنَّ النَّاسَ
اِحْتَاَجُوا إِلَى شَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ وَلَا رَحَلُوا إِلَيْهِ فِيهِ .

وَكَانَ إِذَا أَرَادَ أَمْرًا يَسْتَشِيرُ مَالِكًا وَيَسْتَفْتِيهِ كَمَا نُقِلَ أَنَّهُ
اسْتَشَارَهُ لَمَّا كَتَبَ إِلَيْهِ مِنَ الْعِرَاقِ أَنْ يَتَوَلَّى الْخِلَافَةَ
فَقَالَ حَتَّى أَشَاوِرَ مَالِكًا ، فَلَمَّا اسْتَشَارَهُ أَشَارَ عَلَيْهِ أَنْ
لَا يَدْخُلَ فِي ذَلِكَ وَأَخْبَرَهُ أَنَّ هَذَا لَا يَتْرُكُهُ وَلَدُ الْعَبَّاسِ
حَتَّى تُرَاقَ فِيهِ دِمَاءٌ كَثِيرَةٌ وَذَكَرَ لَهُ مَا ذَكَرَهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ
الْعَزِيزِ لَمَّا قِيلَ لَهُ وَوَلِّ الْقَاسِمَ بْنَ مُحَمَّدٍ - أَنَّ بَنِي أُمَيَّةَ
لَا يَدْعُونَ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى تُرَاقَ فِيهِ دِمَاءٌ كَثِيرَةٌ .

وَهَذِهِ عُلُومُ التَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ وَالْفُتْيَا وَغَيْرَهَا مِنَ الْعُلُومِ
؛ لَمْ يُعْلَمَ أَنَّ النَّاسَ أَخَذُوا عَنِ الْعُمَرِيِّ الرَّاهِدِ مِنْهَا مَا
يُذَكَّرُ فَكَيْفَ يُفَرِّقُونَ هَذَا بِمَالِكٍ فِي الْعِلْمِ وَرَحَلَهُ النَّاسُ إِلَيْهِ
؟ .

ثُمَّ هَذِهِ كُتُبُ الصَّحِيحِ الَّتِي أَجَلُّ مَا فِيهَا كِتَابُ الْبُخَارِيِّ
أَوَّلُ مَا يَسْتَفْتَى الْبَابَ بِحَدِيثِ مَالِكٍ وَإِنْ كَانَ فِي الْبَابِ
شَيْءٌ مِنْ حَدِيثِ مَالِكٍ لَا يُقَدَّمُ عَلَى حَدِيثِهِ غَيْرُهُ وَنَحْنُ

**تَعْلَمُ أَنَّ النَّاسَ صَرَبُوا أَكْبَادَ الْإِبِلِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ فَلَمْ
يَجِدُوا عَالِمًا أَعْلَمَ مِنْ مَالِكٍ فِي وَقْتِهِ .ا.هـ.**

**ومن العبارات التي اشتهرت عند القاضي والداني في
بيان قدر الإمام مالك في الفتوى : لا يُفْتَى وَمَالِكُ فِي
الْمَدِينَةِ " ، ونسمع كثيرا من الوعاظ والخطباء يوردون
قصة بسبب العبارة ، فما هي هذه القصة المنسوبة إلى
الإمام مالك ؟ والتي بسببها قيل في حقه : لا يفتى
ومالك في المدينة " ، هذا ما ستعرفه في السطور
التالية .**

نصُّ القِصَّةِ :

**قال الحافظ ابن حجر في " لسان الميزان " (6/304 – 305)
: " قرأت بخط الحافظ قطب الدين الحلبي ما نصه :
وسيدي أبي عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن سعيد
وجدت بخط عمي بكر بن محمد بن سعيد بن يعقوب بن
إسحاق بن حجر العسقلاني إملاء قال : ثنا إبراهيم بن
عقبة ، حدثني المسيب بن عبد الكريم الخثعمي ،
حدثني أمة العزيز امرأة أيوب بن صالح صاحب مالك**

قالت : غسلنا امرأة بالمدينة فضربت امرأة يدها على
عجيزتها فقالت : " ما علمتك إلا زانية أو مأبونة " .
فالتزقت يدها بعجيزتها ، فأخبروا مالكا ، فقال : " هذه
المرأة تطلب حدّها ، فاجتمع الناس ، فأمر مالك أن
تُضرب الحدّ فضربت تسعة وسبعين سوطا ، ولم تنتزع
اليدها ، فلما ضربت تمام الثمانين انتزعت اليدها ، وصلي
على المرأة ودفنت " .

وقال الخطيب الشربيني في " مغنى المحتاج " (1/358) :
غريبة جُكي أن امرأة بالمدينة في زمن مالك غسلت
امرأة ، فالتصقت يدها على فرجها ، فتحير الناس في
أمرها هل تقطع يد الغاسلة أو فرج الميتة ؟ فاستفتي
مالك في ذلك فقال : سلوها ما قالت لما وضعت يدها
عليها ، فسألوها فقالت : قلت طالما عصى هذا الفرج
ربه ، فقال مالك : هذا قذف ، اجلدوها ثمانين تتخلص
يدها ، فجلدوها ذلك فخلصت يدها . فمن ثم قيل : لا
يفتى ومالك بالمدينة " .

تَقْدُ الْعُلَمَاءِ لِلْقِصَّةِ :

قال الشيخ مشهور حسن في " قصص لا تثبت " (2/78) –
(79) : هذه القصة مكذوبة مفترية على الإمام مالك ، ففيها
يعقوب بن إسحاق العسقلاني ، ترجمه الذهبي في "
الميزان " (4/449) فقال عنه : " كذاب " ، وقال الحافظ
ابن حجر في اللسان " (6/304) قبل أن يذكرها عنه : "
وقد وجدت له حكاية تشبه أن تكون من وضعه "
وسردها .ا.هـ.

وساقها الخطيب الشربيني بصيغة التمریض 'خُكي " ،
وقوله قبلها " غريبة " دالٌ على ضعفها عنده .

ومع قصة أخرى في سلسلة الدفاع عن أئمة المذاهب
الأربعة مما ينسبه إليهم أهل البدع .

تَبَرُّكُ الشَّافِعِيِّ بِقَبْرِ أَبِي حَنِيفَةَ

<http://saaid.net/Doat/Zugail/202.htm>

قِصَّةُ الْإِمَامِ مَالِكٍ مَعَ الْخَلِيفَةِ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ

<http://saaid.net/Doat/Zugail/203.htm>

رابط الموضوع

<http://alsaha.fares.net/sahat?>

128@7.6p1CfOEewkd.5@.1dd3c96e

عبد الله زقيل
zugailam@yahoo.com